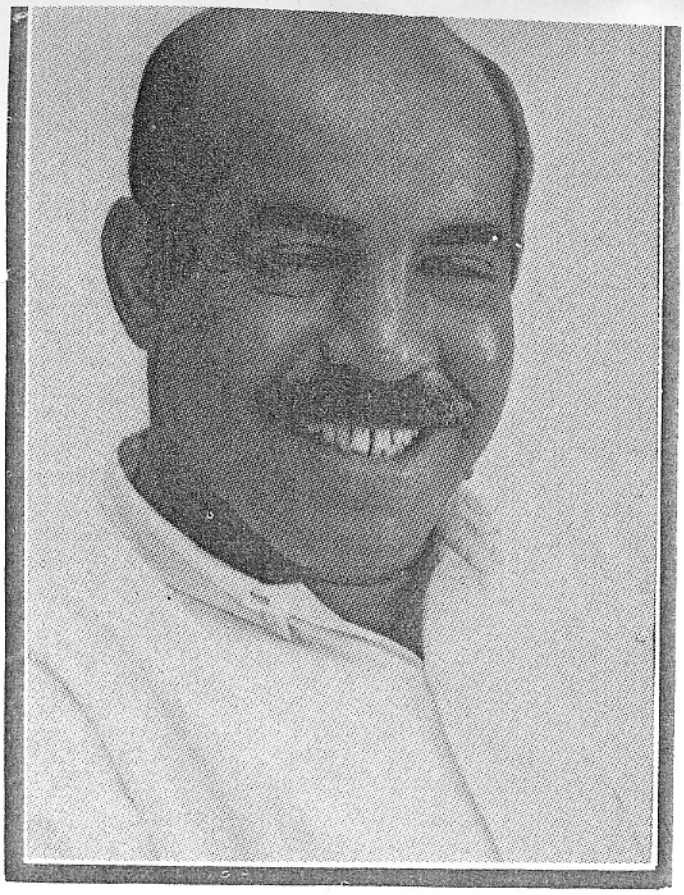

عقيل سوار لـ «صدى الأسبوع»:

لست أجرأ الصحفيين ولا صحفيا متمرداً ...!!

منذ أربع سنوات وأنا أقرأ لعقيل سوار .. ولا يكاد يفوتني ما يكتب .. فأرى فيه القلم «الآخر» ، القلم المختلف في خضم الأقلام السيئة الصيت .. السيئة السمعة ..

ثم اكتشفته «عدسة» لا ترحم في تفاصيلها المستفزة ، ومحققاً مرهقاً بسخريةٍ مريرة ، ووجدته في «الشيء» شاهدا من الداخل على تجريد صاحبة الجلالة من جلالها .

ثم رأيته في رسالة شهيرة رجلا تأكله الهواجس وتدمي التحولات قلبه ..

و.. فجأة رفعه عندي شيطانُ الشعر فوق أسوار الحصار رفعاً .. فرأيته موالا يرسم ملامح سيمفونية لحن غربي ... ورقصة «الملالي» و«الغشم» .

ولا عجب ..!! «فاللحن غربي ، والهوا غربي ، والمراكب فرّت تفرها ، وخُويَرَتْ غرْبي .. وحتى الغيم غرَّبْ ، والبحر والشمس مالت ..» .

فماذا بقي ؟.

جواباً في حجم الفاجعة ، سألته عقيلاً ، فكان حواراً بدأ من نقطة البداية .. ولكنه لم ينتهِ .. ولذلك ننشره ناقصاً .. تماماً ..

●●

□ كمال الذيب □

● كنت محتاجاً إلى عمل ينقذني من التسكع فكانت الصحافة !

● الرقابة الاجتماعية أسوأ أشكال الرقابة !

● من يوم دعاني علي سيار للكتابة ، صارت الصحافة قدري المحتوم !

● الكاميرا لا تجامل .. انها تنقل الواقع بوقاحة فذة !

حدثني عقيل ـ وقد سألت عن البداية ـ عن قصة دخوله بلاط الصحافة المشبوه دوماً .. حديث المرارة الحقة :

● عندما لفظتني مقاعد الدراسة في أواخر الستينات ، بسبب مراهقة سياسية ، لا ترى من الألوان إلا لوناً لي وآخر عليّ ، خطوت الخطوة الأولى في حياتي العملية كموظف في طيران الخليج ، وكانت البحرين أيامها تمور بالاضرابات وحركات الاحتجاج ، وكان العمال والموظفون في طيران الخليج قد دخلوا في اضراب استفز مدير العمل آنذاك ، السيد جواد العريض ، فادلى بتصريح أثار أعصابي في ذلك الوقت ، فتطوعت نيابة عن المضربين لأردّ عليه عبر مجلة «صدى الأسبوع» ، رداً قاسياً ، وجدت نفسي بعدها أفقد بريقي لدى رؤسائي .. ولم يمض وقت طويل حتى وجدت نفسي منبوذاً متسكعاً ..

وأثناء تلك الأيام السود ـ والكلام ما زال لعقيل ـ وجدت الأستاذ علي سيار ـ الذي يبدو انه اعجب بما كتبت ـ يدعوني إلى الانضمام لاسرة صدى الأسبوع ، التي كانت تلك الأيام قبلة الأنظار .. فوجدت نفسي أنساق وراء تلك الدعوة ، ومن يومها صارت الصحافة قدراً مقدوراً لا أقوى على الفكاك من أسره .

وهل ندم عقيل ، وقد مضى على المغامرة نيف وعشرون سنة ؟.

قالها قبل أن أكمل بقية السؤال :

● أبداً .. لعله قدري المرّ .. لقد كنت محتاجاً إلى أي عمل ينقذني من «التسكع» ، فكانت الصحافة باباً ، وأيّ باب !.

دخلتها في البداية عبر الكاميرا ، التصوير الفوتغرافي الذي كان يشدني أكثر من الكتابة ، ثم جاءت الكتابة فيما بعد ... فالصورة أصل عندي ، والكتابة لاحقة .

قلت مستوقفا :

وهل تخليت الآن عن الكاميرا ، أو لنقل ، أيهما أفضل عندك كصحفي ، الصورة أم الحرف ؟.

● لا .. لا يمكنني أن أتخلى عن الصورة .. والعمل الصحفي كل «من صورة وكلمة ، ولكن المشكلة ، ان الكاميرا لا تجامل ولا تهادن ، فهي مباشرة «مزعجة» ، بعكس اللغة التي تمكنك استعاراتها وكناياتها من توصيل الفكرة ، بالتورية ، والتخفيف ..

ويضيف ممثلا : الكاميرا ترسم صورة الفقر ، العيوب والمحاسن والعاهات ، كما هي ـ مهما تدخل المصور في عملها ـ تنقلها بحرفيتها «الوقحة» أحيانا كثيرة ... وهي بهذا المعنى لا ترحم .. لذلك فإن حملك للكاميرا في حدّ ذاته مصدر للشبهة .. فحامل الكاميرا غالبا ما يكون «متهما» بسوء النية ، وسوء المقصد ، بأي معنى من المعاني .. قد يوقفك شرطي .. قد يحقق معك .. قد يوجه لك تهمة !.. قد تنتزع منك الكاميرا ..

قلت معلقا : وهل يعني هذا انك تخليت عنها نهائيا ؟.

● أما التخلي فلا .. فقط انحسر مداها .. وتحولت إلى عمل ذاتي خاص .. هوايتي ظلت دائما قائمة .. وكون خطوط الصحافة المطبوعة لا تتسع «لوقاحتها» ، لا تعني انني تخليت عن التصوير .. بل إنها ما زالت أطور خبراتي وأنمي تجربتي معها بشكل دائب .. لان الهوايات الأصيلة لا تموت هكذا .

وأيهما أكثر أصالة في ذاتك الابداعية ، الكلمة المكتوبة ، أم الصورة الحية ؟.

● يصعب الاجابة عن هذا السؤال بالمعنى الحرفي للاجابة ، لان المسألة مركبة وليست مجزأة ، وأعني بذلك ان المسألة الابداعية كل لا يتجزأ .. الهم الابداعي واحد ، وسبل البوح عنه متعددة ومختلفة من واحد إلى آخر .. قد يعبر الواحد شعرا وتبوح النفس رسما أو صورة أو كاريكاتيرا أو كتابة قصصية أو صحفية وغيرها .. وأنا شخصيا أجد نفسي في الكتابة كما في الصورة ولكن ربما تكون الصورة إلى نفسي ألصق .

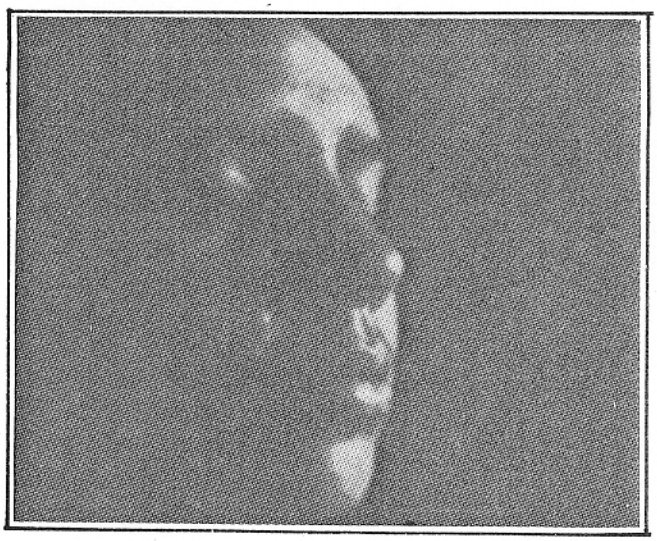

● عدسة عقيل سوار ●

والصورة في الوطن العربي بعامة ـ والاستطراد لعقيل ـ تنعى حظها .. لانها محاصرة ومطاردة للاعتبارات التي ذكرت .. وبهذا المعنى أستطيع أن أزعم بان لدي شيئا متميزا في هذا المجال .. تجربتي متفردة إلى حدّ ما .

قلت : .. وهل علمتك الكاميرا شيئا ؟!.

● ما تعلمت شيئا كبيرا على الصعيد الموضوعي بقدر ما تعلمت الكثير حول المسألة الخلقية .. العادات السلوكية .. لقد أصبحت دقيقا جداً .. فالتصوير الفوتغرافي نظام قائم على الأبعاد والقياسات والدقة المتناهية .. وأنا أزعم بأنني ، في البحرين من الأوائل ، الذين تعلموا التصوير على أصوله ـ بالرّغم من انني لم أدخل مدرسة متخصصة ـ وبت أعلم بأن المرحلة الأهم من عمل المصور ، تبدأ في المعمل ، حيث تتحكم في المنتوج النهائي للصورة ، عبر المواد الكيماوية ، واللمسات الخاصة .. وهنا يكمن الفرق بين المصور الموهوب والمصور العادي ... والسر الذي لا يعرفه الكثيرون ان التحكم في الصورة النهائية ، لا يكون عبر الكاميرا ، وإنما في المختبر .

وأنا ، التصوير عندي إعادة إنتاج ، بمعنى انني أتدخل في بناء الصورة وخلفيتها ، كأنما أريدها أن تكون بشكل معين انطبع في ذهني أو في خيالي . وهذا ما يعيبه عليّ الكثير من الأصدقاء .

قلت معقبا : إذن التصوير عمل ذاتي ، أي هو قراءة تتدخل فيها نفوسنا وايديولوجيتنا ..!!.

● تماما .. الابداع ذاتي وقراءة الابداع أيضا كذلك ، فأنا عندما يستثيرني مشهد المتسول في السوق ، وأريد تصويره ، تجدني في حالة من التوتر .. لاني رسمت له في ذهني صورة وخلفية قد لا تتفق وذلك الوضع المكاني والضوئي ، ولذلك تجدني انتظره الساعات الطوال حتى ينتقل إلى مكان ثان (أمام بنك مثلا) ، أو أعطيه ٥٠٠ فلسا وأطلب منه الانتقال إلى المكان الذي أريده . وهذا ما يُعاب عليّ في الغالب ، ولكنني مصرّ على أن تكون الصورة كما أريد .

سألت عقيلا : لما كان انتاجك الفوتوغرافي غزيرا ، ومشهوداً له بالتميز فلماذا لم تنشره في كتاب ، أو تعرضه في معرض ، حتى تتمكن الساحة الثقافية والجمهور من اكتشاف هذا العالم الغني المتميز ؟.

ردّ فيما يوحي بانه لا مبالاة ظاهرة :

● لست متحمسا لذلك ولم أتحمس له في أي لحظة من اللحظات ، وحتى ما نشر لي لم يكن على نفقتي وإنما كان بمبادرة أطراف أخرى .. وفضلا عن ذلك أنا أؤمن بانه لا يستحق النشر إلا

● مسرحية «البراحة» ، كانت علامة تحول في المسرح البحريني

إذا كان يضيف لتجربتي شيئا جديدا .. أما إذا كان النشر من أجل الانتشار فلا معنى له عندي .

وباختصار أنا غير مسكون بهاجس النشر .. ويخيل لي بانه إذا كان لما أكتبه أو أصوره قيمة حقيقية ، فسوف يأتي اليوم الذي ينشر فيه .

قلت معلقا : بهذا المعنى تكون قد أخرجت فعل الابداع من سياقه الوظيفي ، أي إنك تكون كمن يحاول تجريده من وظيفته كرسالة ؟!.

● لا أبدا .. والدليل على عكس ما تقول انني أباشر الكتابة بكل أشكالها منذ أكثر من عشرين عاما دون كلل ، مع محاولة مستمرة لتطورها ، وتجديدها ، ولكن هناك أشياء قد تكتبها وتضطر إلى الاحتفاظ بها لضغوط رقابية .. أو تتهيب نشرها نتيجة عجز مادي أيضا .. فمن الظلم لنفسك ولأهلك أن تُقدِّم رغبة قد تكون نرجسية في النشر ، على حسابات حاجات أهلك وأطفالك ! وهذا وجه آخر لمشكلة الابداع عندنا ..

ويصاب عقيل بلحظة صمت عميق ، كالذي شارف على مغادرة منطقة الكلام المباح .. ففضل عن فعل المغادرة أن يصيبه الصمت قليلا ، فيعود :

● قد أكون مخطئا في تقديري أيضا .. وهذا ممكن ..

●●

قلت مغيراً مجرى الحديث : وقصتك مع المسرح كيف بدأت ؟

● في أوقات كثيرة كنت فيما مضى من الشباب الحافل ، أجنح إلى الكتابة المسرحية لأعبر من خلالها عما لا أستطيع التعبير عنه في الكتابة الصحفية أو عن طريق الكاميرا ...

وهل كانت مسرحية «البراحة» أبرز عمل كتبته إلى حدّ الآن ؟.

● عندما كتبت هذه المسرحية ، رفضت تماما ، ونُعت بسيء النعوت والأوصاف .. وتحمس لها من الفنانين واحد فحسب هو الفنان عبدالله يوسف ، وأنتجها بشكل أو بآخر ... ولم أر أو أقرأ في حياتي الكم الهائل من النقد يكتب حول مسرحية مثلما كتب حول البراحة .. وكل ما كتب كان يصب في خانة واحدة هي خانة التحطيم ، فقيل عنها انها ساذجة ، وسخيفة ، وبسيطة ، وبعيدة عن روح المسرح .

وللغرابة ـ يستطرد عقيل ـ ان هذه المسرحية التي هوجمت بشكل غير موضوعي تحولت فيما بعد ، في نظر الكثير من النقاد إلى علامة بارزة في تاريخ المسرح في البحرين .. بل إن البعض اعتبرها نقطة تحول في مسيرة المسرح البحريني .

لقد كتبت هذه المسرحية ـ وهي أول مسرحية لي ـ من منطق فك اشكالية الكتابة المسرحية نفسها ... فالسائد عندنا في الوطن العربي ان هناك مسرحين ، واحدا للنخبة وآخر «للعامة» ، أي الاقرار بوجود مستويين من الكتابة .

وأنا حاولت التوسط بين البعدين ، لان لدينا حالة خاصة تتطلب حالة ابداعية خاصة ، وأعتقد انني نجحت في ذلك إلى حدّ ما بالرغم من ان الكتابة «الوسطى» صعبة إلى أبعد الحدود .

في الدنيا قاطبة يوجد هذا الاشكال ـ وهو عندنا أيضا ـ فهناك جمهور شكسبير ، وجمهور المرح ، وهناك جمهور الموسيقى الكلاسيكية ، وجمهور الموسيقى الصاخبة .. والمسرح أيضا يخضع إلى نفس الثنائية .. وكل الذي حاولت القيام به أن أخلق حالا وسطا .. أما الذين يحاولون تبسيط شكسبير ليستمتع به أو يفهمه جمهور مسرح التهريج ، فهذا البسيط مرفوض لانه تشويه محض .

●●

ونحن نغادر عتبة التجربة المسرحية سألت عقيلا : كيف يكتب عقيل ما يكتب في الصحافة ؟ وما الذي يحكم ويسير هذا النمط من الكتابة ؟.

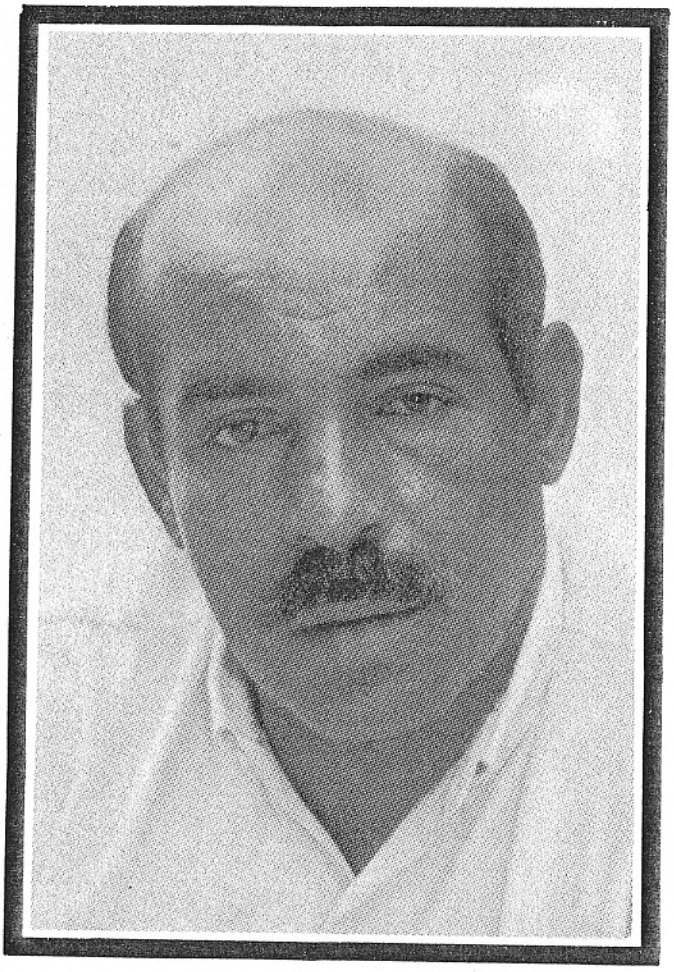

● الشيء ... الذي يرهق عقيل ●

● الصحافة العربية تمارس فعل تزييف الوعي !

حدثني عقيل في سياق الاجابة عن السؤال ، عن الصدق ، عن الذات المبدعة ، وكيف تكون جزءا من الابداع :

● كثير من الذين يكتبون ، يكتبون من واقع الاطار الذي وضعوا فيه ، أو وضعوا أنفسهم فيه ، أي انهم يكتبون من خارج الذات ، محترفو إنشاء لا أكثر ولا أقل .. ولذلك لا يظهرون ، بل سريعا ما يسقطون دون أن يتركوا وراءهم شيئا يستحق القراءة .. أما الذين يكتبون بصدق ، فانهم كثيرا ما يبدعون ، إذا كنت أكتب بذاتي ، بخصوصيتي ، وإذا وجدت هذه الخصوصية صداها عند الناس فذلك هو طريق النجاح والتميز فيما أرى ، الخصوصية والصدق .

قلت مستفزا : الصدق .. ولكن في الصحافة يوجد شيء اسمه الرقابة ، فهل تعبأ بهذه الرقابة ، وتقرأ لها حسابا ؟.

دون تردد :

● بكل تأكيد .. ولا يوجد شخص لا يقرأ حسابها .. إلا المجانين .. المجنون وحده يكتب بدون ضوابط .. ولكنني أظنك تشير إلى ما يسمى الخطوط الحمراء ... وإذا كان ذلك قصدك فانني أؤكد لك بان فعل الكتابة يعود إلى تقديرك الشخصي ، صحيح ان هناك خطوطا يجب عدم تجاوزها ، ولكنني إذا كنت أكتب بصدق ،

كنت شاهدا على تجريد صاحبة الجلالة من جلالها !

بضميري الحي ، بوجداني الوطني أو القومي .. بكل الحرارة التي في نفسي ، فإن ما أكتبه ينشر حتما بالرغم من تجاوزه لما يعتقده البعض خطوط الممنوع .

أنا لست أجرأ كاتب - مستطرداً - ولكنني عندما

● ليست لدي مشاكل مع الرقابة لانني رجل صادق أحتكم إلى ضميري !

أكتب ، أكتب بصدق ، بمهجتي ، ما يمليه عليّ ضميري ، فأنا لا أريد شيئا شخصيا .. لا أبحث عن قرش أبيض أدخله جيبي على حساب فعل الكتابة أو على حساب الضمير المهني ، وطالما الأمر كذلك ، وطالما الآخرون يدركون حقيقة أمرك ، فإنك تستطيع أن تكتب كثيراً جداً مما تريد ، بالرغم مما قد يظهر من حين لآخر من أن بعض ما تكتب قد جاوز خطا معينا ، يراه محترفو الانشاء الجاهز للبيع خط الممنوع دائما .. وهؤلاء لا يقولون كلمة الحق لا لانهم جبناء ولكن لادراكهم ان ذاك القول قد يجعلهم يخسرون شيئا ما أو شخصا ما ، أو يجعلهم يفقدون غنيمة أو مكسبا .. فهم بهذا المعنى يدافعون عن مصالحهم وهم يكتبون حتى وإن كان ذلك على حساب الحقيقة أو على حساب الناس .

- وهل أفهم من كلامك ، انك لا تتعرض أبداً إلى مشكلات رقابية عند الكتابة أو النشر ؟.

● لا ، بطبيعة الحال .. لا يعقل أن تكون صحفيا يكتب منذ عشرين عاما دون أن تعترضه مشاكل من هذا النوع الذي تحدثت عنه .. ولكنني أردت فقط أن أبين لك بأنك عندما تكتب بنقاء وصدق ، فان قضايا الرقابة تصبح لديك هامشية وعرضية .

- قلت : وما هو أسوأ شكل من أشكال الرقابة عندك ؟

حدثني عقيل سوار ، وهو يجيب عن هذا السؤال ، عن الرقابة الاجتماعية ، معتبراً إياها أسوأ شكل من أشكال الرقابة على الاطلاق ، مضيفا :

● أنا أفهم ، ان الاختلاف مع السلطة - أي سلطة - معادلة موضوعية أقرأ لها الحساب وأنا أكتب ، وأفهم ان اختلف معك في الرأي أو القراءة ، ولكن يثير حنقي إلى درجة الحيرة المرّة ، عندما أكتب عن قضية اجتماعية ، مدافعاً منصفاً ، فإذا المجتمع الذي تدافع عنه هو ذاته الذي يقف في وجهك .. وليكون كلامي واضحا ، أضرب لك مثالا ، أنا عندما أكتب عن قضية المرأة وحريتها ، اكتشف ، - للأسف الشديد - بأن أول من يعارضك ويقف في وجهك هي المرأة التي كنت كتبت من أجلها ، من أجل حقوقها وحريتها .

أما على صعيد الرقابة الرسمية ، فليس عندي مشكل على الاطلاق ، ربما تكون مشكلتي أحيانا مع الكوادر المكلفة بالرقابة أو برئاسة التحرير ، وهي ناجمة في الغالب عن حكم مسبق ، أو افتراض سوء النية في الكاتب باستمرار ، وأنا أفهم هذا الأمر وأتفهمه أيضا ، لانني صاحب رأي ولي موقف من كل شيء ، وهذا الموقف قد لا يكون - وهذا ليس سرا - متفقا مع السائد من الأفكار والأوضاع ... ومن هذا المنطلق فأنا مصنّف ضمن إطار معين ، ولكنني في نفس الوقت رجل واقعي ، احترم نفسي وأحترم المهنة التي أؤديها تمام الاحترام ، فبمجرد انني قبلت أن أعمل في هذه الوظيفة ، في هذه الصحيفة التي تحكمها قوانين وحدود ، وجب عليّ أن أقبل بتلك القوانين ، وبتلك الحدود والضوابط . وهذا ما نفعله في أغلب الأحيان ، وانما الخلاف الذي يطرأ في حالات نادرة مع الكوادر الرقابية أو غيرها ناتج عن سوء فهم ما يكتب ، وغالبا ما تحل المشكلة بمجرد زوال مصدر سوء الفهم ..

- لنفترض - قلت - ان الرقابة تدخلت أو استعملت مقصها في موضوع كتبته ، فتشوه ، هل تقبل أن ينشر موضوعك مشوها أم انك تفضل سحبه ؟

بعد قليل من التفكير :

● أنا رجل مرن جدا في عملي ، ولم يحدث أن اصطدمت مع الرقابة بهذا الشكل الذي يصوره افتراضك ، بمعنى انني لم أتعرض إلى مثل هذا الموقف لا في صدى الأسبوع ، ولا في أخبار الخليج إلى حدّ الآن ، ويعود ذلك فيما أرى إلى انني أتفهم جيدا العقد المهني الذي أعمل في اطاره وإلى المرونة الكبيرة في العمل وفي الكتابة .

قلت محاولا تغيير مجرى الحديث :

- الصحافة العربية - التي قد تكون نسخة مكررة لوجه واحد - كيف يراها عقيل سوار ، وهل ساهمت في الارتقاء بوعي الانسان العربي أم انها ساهمت في تزييف هذا الوعي .

بعد لحظة من التفكير يأتيني صوت عقيل :

● إذا نظرنا إلى المسألة في المطلق ، قلنا إنها صحافة تزييف الوعي ، أما إذا نظرنا إليها في سياقها الاجتماعي ، وجدنا لها الاعذار وربما اعتبرناها في بعض جوانبها إيجابية .

ويضيف عقيل مفسرا : القارىء العربي اليوم أصبح يدرك أشياء كثيرة ، يعرف حدود العمل الصحفي ، ويفهم لماذا لا يستطيع الصحفي ان يتحدث عن هذا الموضوع أو ذاك .. في الستينات مثلا كنت أستغرب من فعل ذاك المذيع العراقي في اذاعة بغداد الذي كان يمجد نوري السعيد ، وفجأة ، وبعد أسبوع واحد من قصائد التمجيد استمع إلى نفس ذاك المذيع يهجو نوري السعيد وغيره .. كنت أستغرب ذلك ، ولا أفهمه .. أما الآن فالقارىء العربي بات يفهم سرّ المعادلة وحدود الكتابة الصحفية وعوائقها .

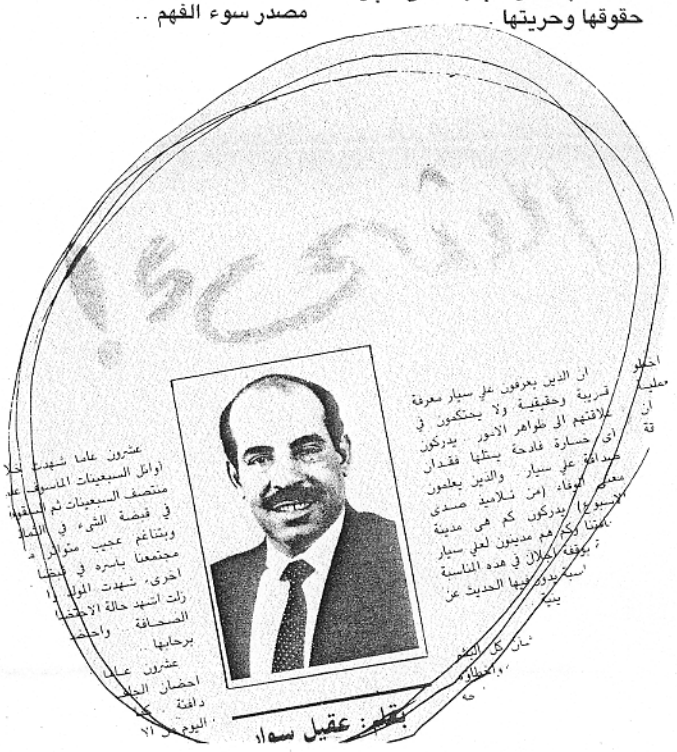

يتبع
الأسبوع القادم تقرأ :
- أزمة الخليج
- عبدالناصر ١٩٦٧
- عقيل وشيطان الشعر ..